

معبأة بالرصاص بالطلقات المتفجرة التي تحدث ثقباً بحجم قبضة اليد في اللحم الذي تستقر فيه. إلا أنني حين رأيت تلك الأسماك، ألقىت سلاحي وجعلت أصلي: «يا رب، اجعلها تبلغ عرض البحر، ولتتعطل محركاتنا!...» وما الذي يحول دون قيام هذه المخلوقات الرائعة حتى إذا أخذت في أشراكنا، من تمزيق شباكننا، والقفز عبر عواماتها والمضي بعيداً لتابعة حياة لا يتمكن الانسان لا من فهمها ولا من اخضاعها؟...

وفي خلال ذلك، كان الصمت يسود الزوارق. وكان الرماة قد تمركزوا في المقدمة، والموجهون يرقبون الرماة والأسماك. كان الشغف ذاته يعمر نفوس أولئك الرجال جميعاً: فالرقاب ممدودة، والعيون مجمدة، والأفواه مفتوحة. ثمّة سمة فنتازية على وجوه الرماة حين كانوا - مثل قادة أوركسترات - يمدون أذرعهم لتوجيه الزوارق وجعلها تتبع أسماك الحفش أو تدور من حولها.

«إن أجسام تلك الأسماك، فكرت بيني وبين نفسي، سوف تذهب غذاء للشعالب التي ستقتل فيما بعد، وشحمها سوف يستخدم في صنع زيوت صناعية. فما الذي يهمها؟ وروحها، من يحتاج إليها؟»

لم تطلق النار. كانت زوارقنا تمضي مثل رعاة يتبعون قطعاً وبدأت العوامات منذئذ بالظهور: أخذت أسماك الحفش تعبر سياج شباكننا. أمامها، صفان من الشباك، عن يمين الجانب، عن يسار صفان من الشباك. ثمّة مخرج وحيد: أن تعود أدراجها.

منذ أن عبر آخر حفش المقطع العرضي من السياج، دوت أولى الطلقات النارية. كان الرجال يرمون في الماء لإخافة السمك، من أجل أن يغوص في عمق الشبكة فيضيع فيها. ألقى أحد الزوارق قارباً وجره نحو